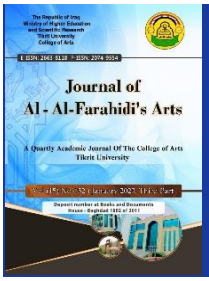

Tikrit University | جامعة تكريت

مجلة آداب الفراهيدي

Journal of Al-Farahidi's Arts

The Image of Death in The Poetry of Raad Abdul-Qadir

Asst. Prof. Dr. Fouad Matlab Mukhlef

Department of Arabic Language, College of Arts, University of Anbar
Al-Anbar, Iraq

صـورة المـوت فـي شـعر رعـد عبـد القادر

أ. م. د. فؤاد مطلب مخلف

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الأنبار
الأنبار، العراق

SUBMISSION التقديم	ACCEPTED القبول	E-PUBLISHED النشر الإلكتروني
20/11/2023	15/01/2024	18/08/2024

P-ISSN: 2074-9554 | E-ISSN: 2663-8118 https://doi.org/10.25130/jaa.16.57.2.1 Vol (16) No (57) March (2024) P (01-11)

ABSTRACT

This study, entitled (The Image of Death in the Poetry of Raad Abdul Qader), attempts to examine the images of death that appeared in the poetry of the late poet. The image of death was linked to three main axes: the image of death viewed from a mythological point of view, as the ancient Iraqi myth often supported the theme of death and its representations with many expressive images and symbols; the image of death viewed from an existential point of view, as the image of death often approaches absurd and unreasonable concepts from the point of view of existential thought and literature; and finally, the image of death can be viewed through the representations that enriched this image and provided it with endless tributaries.

KEYWORDS

Image of Death, Myth, Existential Vision, Representations, Existential Criticism

الملخص

تحاول هذه الدراسة المعنونة بـ (صورة الموت في شعر رعد عبد القادر) الوقوف على صور الموت التي وردت في شعر الشاعر الراحل. وقد ارتبطت صورة الموت بثلاثة محاور أساسية هي صورة الموت منظوراً إليه من وجهة نظر أسطورية، ذاك أن الأسطورة العراقية القديمة كثيراً ما رفدت موضوعة الموت وتمثلاتها بكثير من الصور والرموز المعبرة، وصورة الموت منظوراً إليه من وجهة نظر وجودية، فكثيراً ما تقترب صورة الموت من مفاهيم عبثية ولا معقولة من وجهة نظر الفكر والأدب الوجودي، وأخيرا يمكن النظر إلى صورة الموت عبر التمثلات التي أغنت هذه الصورة وأمدتها بروافد لا نهائية.

الكلمات المفتاحية

صورة الموت، الأسطورة، الرؤية الوجودية، التمثلات، النقد الوجودي

CC BY

Copyright and License: This is an Open-Access Article distributed under A Creative Commons Attribution 4.0 License, which allows free use, distribution, and reproduction in any medium provided the original work is properly cited.

المقدمة:

يعد الشاعر الراحل رعد عبد القادر من ابرز الشعراء العراقيين الممثلين لجيل السبعينيات في العراق وهو من بين أهم الشعراء الذين لمع نجمهم في هذه الحقبة حقبة السبعينيات وما بعدها نظرا للاشتغال المعرفي والفني الكبير الذي بذله الشاعر وضمنه بين ثنيات نصوصه الشعرية, ويعد تصويره ثيمة الموت من المواضيع المهمة فنيا وإنسانيا إذ تمكن الشاعر عن طريق هذه الثيمة أن يضمن رؤيته للموت مقترنا بالحياة ومندمجا معها أو ممثلا مستقلا للغز عميق يقف الشاعر أمامه ممثلاً للنوع الإنساني العاجز عن سبر أغواره بله الوصول إلى قراره العميق.

ومن هنا تجيء دراستي هذه لتسلط الضوء على رؤية الشاعر الراحل للموت وفلسفته المتعلقة به عن طريق دراسة صورة الموت عنده بمعنى كيف صور الشاعر رعد عبد القادر الموت في شعره وكيف عبر عن أفكاره العميقة المتعلقة بالموت مقدماً إياها بصور أدبية مركبة جداً لاعتمادها التكثيف في بناء الصورة هذا التكثيف المتأتي من الاستعمال المتفرد لفنون التعبير اللغوي التي تصطبغ بأسلوب الشاعر في التأليف اللغوي وقدرته التصويرية العالية، عوضاً عن اتكائها على مرجعيات فكرية وأسطورية تعتمد أساطير العراق القديم مرجعاً لها ,كما لا يمكن إغفال موقف الشاعر الوجودي من الموت ومحاولة تقديم تفسير ذاتي لهذا اللغز العميق المسمى الموت.

وقد حاولت أن أُنشئ مقاربتي لهذا الموضوع عن طريق ثلاث مثابات رئيسة حاولت بوساطتها الاقتراب من الموضوع , وأول هذه المثابات التي توقفت عندها هي صورة الموت الأسطورية إذ صور الشاعر الموت تصويرا اعتمد فيه الأسطورة العراقية القديمة متناصاً ومتأثراً بها ومقيما حوارا معها عبر العصور يأخذ من الأسطورة فكرتها المركزية ويمنحها بعداً محايثاً يعتمد تفاصيل الحياة المعيشة وتعقيداتها المعاصرة بلحاظ "ان العالم الذي نعيش فيه وتتواجد الأشياء كلها فيه هو عالم اسطوري" [١]، وثاني هذه المثابات كانت دراسة صورة الموت وجودياً وفيه استعرض صور الموت التي صبغها الشاعر بالفلسفة الوجودية التي لا تحاول تفسير الموت بقدر التركيز على عبثية الموت وفجائعيته اللانهائية، أما المثابة الأخيرة فحاولت الوقوف عندها على تصوير الموت كثيمة عن طريق ارتباط المكين بالمكان أو عن طريق تجسيد الثيم (Theme) ممثلا لصورة الموت عن طريق منحه بعداً حياً يعتمد تفاصيل إنسانية بشكل خاص أو كائناتية بشكل عام.

صورة الموت الأسطورية:

يربط الشاعر بين الموت وصورته الأسطورية المستمدة من الأساطير العراقية القديمة في عملية تناص فنية يحاول فيها الشاعر ان يمتص الصورة الأولى للأسطورة من اجل إدخالها في سياقها العراقي يقول رعد عبد القادر في قصيدة "اغنية لأوروك":

حينما القى بقلبه في انهار العالم السفلي
هناك غنى حياته
على انهار العالم السفلي [٢]

في هذا المقطع يقيم رعد عبد القادر تناصاً مع أكثر من أسطورة عراقية قديمة تتعلق بالنزول إلى العالم السفلي وهو بذلك يصور الموت كإله فائق القوة يسكن العوالم السفلى، فالشاعر هنا يقيم علاقة تناص مع أسطورة نزول عشتار إلى العالم السفلي ولقاء اختها في محاولة لتخليص حبيبها ديموزي وذلك مثبت في أكثر من مقطع في الأسطورة إذ يمكن لنا اقتباس هذا المقطع الذي يصور لنا نزول عشتار ابنة سن إلى العالم السفلي:

الى كورنوكي ارض اللا عودة
صممت عشتار ابنة سن أن تذهب
عشتار ابنة سن صممت أن تذهب

إلى البيت المظلم مسكن اله اركلا [٣]

وهو يقيم علاقة تناصية أخرى مع أسطورة نزول نركال إلى العالم السفلي ومعه كرسي الشبح أو الروح في محاولة منه للإفلات من قبضة الموت سيد العالم السفلي [٤].

لقد عمل الشاعر رعد عبد القادر بشكل واضح على توظيف الأسطورة في نصوصه لا لمجرد الإحالات التاريخية والمرجعية الأيديولوجية للأسطورة وإنما من أجل أن يفتتح آفاقاً جديدة للأسطورة لا يمكن افتتاحها بالاعتماد على العبقرية الفردية أو بالاعتماد على الطاقات الحيوية الكامنة في البنية التركيبية وقدرتها على التشكيل اللغوي فحسب، وإنما بلحاظ أن الشعر إنما هو في حقيقته بناء فني يعتمد على التشكيل المركب الذي يؤدي إلى الخروج من أسر الدائرة المحكمة الإغلاق للزمن إلى نهايات مشرعة على التأويل المترتب على الدفقة المعنوية الكبيرة التي تمنحها الأسطورة للنص الشعري [٥]، وقد يعمد الشاعر رعد عبد القادر إلى أسطرة الواقع بمعنى معاملة الواقع الراهن معاملة أسطورية ليتمكن من الإفلات من أسر الاعتيادي والمألوف مثلما يفعل في قصيدة "أعياد ثانية" التي يستخدم فيها الأسطورة والإشارات التاريخية لينطلق منها إلى أسطرة الواقع:

أبيس
العجل الذهبي
الثور المجنح
ناقة صالح
البراق حيوان العلى
أعياد الإنسان في اللحم المطبوخ
في سحره المدخن
البشر حول هذه الحيوانات
يصرخون ويزعقون
من أجل كيلو غرام واحد
بسعر الأساطير [٦]

إن الشاعر هنا يحاول قراءة الواقع والتاريخ معاً قراءة أسطورية خاصة لا تأتي من كتب التاريخ ولا من معاجم الأساطير وإنما تأتي من طبيعة تعامل الشاعر معها وإعطائها بعداً أسطوريا خاصاً يعتمد التصور الذاتي المحض , فبحسب ما تذكر كتب الميثولوجيا المصرية أن آبيس هو الثور الحامي لمدينة ممفيس [٧]، أما العجل الذهبي فمعروفة قصته التاريخية التي سطرت في المصحف الشريف لتروي عبادة بني إسرائيل للعجل المصنوع من الذهب الذي صنعه السامري في غياب موسى عليه السلام [٨]، كذلك جاءت قصة ناقة صالح في أكثر من موضع في القران الكريم مصورة العلاقة بين بني البشر وهذه الناقة المرسلة آية للناس [٩]، ولا تختلف قصة البراق عن هذا السياق فقد روت كتب الآثار والأحاديث النبوية قصة مخلوق يشبه الفرس إلا انه يطير يسمى بالبراق [١٠]، وإذا لاحظنا مجموع الإشارات التاريخية والأسطورية التي تضمنها النص فهي تلخص وجود علاقة ما بين الإنسان وبين كائن فائق القدرة Supernatural يتمتع بخصال وميزات خارقة يتم في اغلب الأحوال التضحية به في مشهد موت أسطوري، ولذلك يحتفي بها الإنسان مدوناً إياها في أدبياته القديمة وأساطيره عوضاً عما ذكر في القران الكريم من وقائع حقيقية تروي دخول الإنسان في علاقة مع هذه المخلوقات الفائقة القدرة، ولكن رعد عبد القادر هنا نراه يقفز فوق الإشارات التاريخية وفوق الأساطير التي احتضنتها كتب ومعاجم الأساطير ليدون لنا رؤيته الأسطورية التي مزجت التاريخ بالوقت الراهن والماضي بالعالم المعيش وليتم النظر إلى مشهد عادي لناس عاديين وهم يتبضعون كيلو غراما من اللحم على انه امتداد لذلك التاريخ الأسطوري الذي يجمع الإنسان والمخلوقات الفائقة القدرة في علاقة مقدسة رابطها الموت.

صورة الموت الوجودية:

كثيرة هي الدراسات والتأملات والأعمال الأدبية والفنية التي تعاملت مع موضوعة الموت محاولة تفسيرها أو على الأقل التعبير عن الحيرة واللا جدوى أمام هذا اللغز الوجودي الكبير المسمى بالموت، ويأتي الشاعر رعد عبد القادر معبرا عن القلق الوجودي تجاه الموت والحيرة منه مثلما فعل أسلافه الشعراء بدء بالشاعر طرفة بن العبد الذي قال عن الموت:

أرى الدهر كنزا ناقصا كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفد (١١)

يأتي الشاعر رعد عبد القادر ليعيد التعامل الوجودي نفسه مع الموت انه ذاك التعامل الذي يركز على واللا جدوى من الحياة والسأم منها كما الموت يقول رعد عبد القادر:

أصوات موتى قادمين من الموت
لا أحد يسألهم عن حياتهم هناك
أو لا يوجد أحد يسألهم
أصوات حياة لا توجد
أو لا تجد أحدا لتسأله
أصوات حياة تجد نفسها بلا حياة
كعشاء ملقى إلى الذئاب
كورود على قبور الموتى
كموسيقى بلا أحد
كرسائل لا تقرا لأنها لم تكتب (١٢)

إن التصوير في هذا النص الشعري الذي اسماه الراحل (أصوات) هو تصوير يبرز الموت كأحد طرفي صورة اللا جدوى التي يعاني منها الإنسان المعاصر وخصوصا ذلك الذي ينتمي في تفكيره للفلسفة الوجودية وموقفها من الموت والحياة، فالموت وفق هذه الفلسفة هو "حقيقة واقعة، لكن هذه الحقيقة هي التي تظهر الأشياء كلها في نهاية المطاف متساوية ولا أهمية لها" (١٣).

إن الصورة الوجودية للموت التي عمل على إنجازها الشاعر الراحل رعد عبد القادر وبثها في ثنيات نصوصه في أكثر من نص وأكثر من مناسبة، تدلل على الاحترافية الأدبية العالية التي كان يتمتع بها فهو إن على مستوى التعبير من خلال المجازات أو التعبير من خلال الرموز قد تمكن من أن يرسم صورة ذات بعد وجودي لمشهد الموت المتكرر والعصي على الفهم والاستيعاب.

مشهدية الموت:

يلجأ الشاعر رعد عبد القادر في بعض الأحيان الى تصوير الموت لا بالنظر اليه اسطوريا ولا بالتأمل في ثيماته وجوديا، ولكنه ينظر الى الموت هذه المرة عبر تصور يعتمد المشهد في محاولة منه للإحاطة بمفهوم الموت المنغلق على الإحاطة الشاملة والمستصعب على محاولة فهم كنهه وتفسير احجيته ولغزه الدائم ولذلك نراه يصور الموت في قصيدة اهداها الى روح اخته بعنوان " شجرة التاءات الى نداء اختي في مرآة الموت" قائلاً:

خرجت
وخرجت معك التاءات
القليلات في المرايا
والكثيرات،
مشقوقات الجيوب
امهاتها وجداتها

عماتها وخالاتها

المنكوبات

الشجرة كلها..

مشقوقة التاءات [١٤]

ان الشاعر هنا لا يريد تفسير كنه الموت وليس هو بصدد محاولة إيجاد حل لهذا اللغز الذي يتكرر كل يوم خاطفا أرواح البشر، وإنما هو هنا يحاول أن يركز الصورة على مشهدية الموت من خلال الإيغال في تصوير حالة الفقد التي ترافق الموت مع ما يصاحب حالة الفقد من حزن وذهول وشعور بحالة من الشرود والضياع، وهو هنا لا يصور حالة الإنسان حينما يمر بهذه التجربة فحسب، وإنما يصور الموت نفسه في سلوك الفاقدين والفاقدات فكأن الإنسان هنا هو مرآة تنعكس فيها صورة الموت لا من اجل تفسيرها ولكن لصعوبة تفسيرها، ولذلك يكتفي الشاعر الراحل بتصوير سلوك "العمات والخالات" اللواتي خرجن مع الجنازة خروجا يقترن بخروج الجنازة مع انه يختلف عنه، وكأن الشاعر يركز على مشهدية الموت المقترن بلحظة الخروج: خروج الروح من الجسد وخروج الجنازة من البيت وخروج العمات والخالات و"شجرة التاءات كلها" التي عكست في لحظة فريدة عدم فهم الإنسان للموت والاكتفاء بملاحظة مشهديته المهيمنة التي تظهر في وعي الإنسان الذي يدرك تماما انه سيموت ولكنه يجهل تماما وفي كل مرة يحدث أمامه الموت في أن يجد له تفسيرا ناجعا أو يقينيا [١٥].

في لقطة أخرى يراهن الراحل رعد عبد القادر على وعي الإنسان في تلقيه لمشهد الموت الذي يحتاج دائما إلى تفعيل "ميكانزم" الوعي من اجل اكتمال المشهد السوريالي الذي يرسمه الوجود للموت الداخل مع الحياة في ثنائية متلازمة يكون هو دائما الطرف المنتصر بينما تأخذ الحياة جزءها المتعلق بالخسارات الأبدية يقول الشاعر:

الحياة ريش تحت قدمي فزاعة الموت [١٦]

ان على القارئ هنا أن يتخيل المشهد بأكمله هنا لكي يستطيع فهم هذه الصورة وملء الفراغات أو ما يسميها نقاد نظرية التلقي بمناطق البياض أو فجوات النص، فالشاعر هنا يرسم مشهدا سوريالية فجائعيا للحياة التي يتم اصطيادها واقتناصها كما يفعل الصياد بالطيور التي تقترب من الحقل وتبدأ بالاطمئنان للفزاعة الهامدة وإذا بالموت يدهم بطريقة مفاجئة وغير مفهومة. إن الشاعر هنا يريد أن يوصل فكرته عن الموت والحياة بطريقة مشهدية تقول المشهد دفعة واحدة كما يظهر المشهد في الحياة دفعة واحدة لان المواضيع الكبيرة في هذا الوجود والموت من ضمنها تبقى عصية على التفسير القطعي والنهائي لذلك يلجأ الشاعر إلى أن يقدم الموضوع قيد التأمل بطريقة مشهدية رمزية تعتمد في الشق الكبير منها على تفاعل القارئ وقدرته وكفاءته في إكمال المشهد عبر ردم مناطق البياض التي تتخلله معتمدا في كل ذلك على الخبرات الجمالية المكتسبة التي تنطلق من ذات متعالية (ترانسندنتالية) تضمن للمعنى أن يكون مرتبطا بها بعيدا عن التصور السايكولوجي المحض للمعنى [١٧].

ان هذه المشهدية في تصوير الموت هي ملمح موضوعاتي يتكرر كثيرا في شعر رعد عبد القادر حتى انه جعله أسلوبا اثيرا لديه في محاولة التعرف على الوجود واسئلته الكبيرة والامثلة على مشهدية وصف الموت أكثر من ان تحصى في شعر الشاعر الكبير غير إني اود ان اختتم هذه النقطة بمقطع أخير من شعر الشاعر الذي يصور فيه الموت عبر تمثيله مشهديا حيث يقول:

يكتب العاشق

تعاليمه السبع الأخيرة

وهو يتقدم الى الموت

يرمي الورقات قلبه المفتون بالجمال

يغيب بهدوء فتصبح الأرض أميرة

تبحث عن عاشق [١٨]

إن المتأمل في هذا المشـهد يمكن له أن يتوقف عند هذه المشـهدية في تصـوير الموت بطريقة تذكرنا بلحظات وعي متفردة قام بها نفر قليل جدا من أصحاب الرأي أو الفلاسـفة أو أصحاب العشـق الإلهي من رجال الصـوفية الذين قبلوا عن طيب خاطر فكرة موتهم، فكما قبل الفكرة سـقراط وذهب إلى الموت واثقا جدا وواعيا جدا متجرعا كاس السـم الأخيرة في هذا الوجود فكذلك يحاول الشـاعر أن يقدم لنا الموت في صـورته المشـهدية التي تظهر الموت على انه قرار يومي يتخذ وهو مع كونه قرار يومي إلا انه قرار مهيب يمثل لحظة وعي فاصـلة وللقارئ أن يتأمل في السـطور الأخيرة من هذا المقطع المشـهدي تلك السـطور التي تؤكد تكرار هذا المشـهد لا لأنه يحدث بفعل فاعل ولكن لأنه فعل يقترن مع الحياة جنبا إلى جنب حيث تبحث الحياة عن عاشـق جديد يرسـم معها ثنائية الموت والحياة تلك الثنائية الخالدة.

تمثلات الموت عبر الموضوع:

في كثير من الأحيان يلجأ الشـاعر رعد عبد القادر في تصـوير الموت إلى تمثله عبر الموضـوعات التي تقيم علاقة ما معه سـواء كانت هذه العلاقة من نوع علاقات المجاز على اختلاف أشـكالها من علاقات اقتران أو علاقات الجزء بالكل أو ما إلى ذلك من علاقات، أو كأن تكون هذه العلاقة مع الموت تتم عن طريق الرمز بشـكل عام، ومعلوم ما للمجاز من حضور كبير في الشعرية العربية المعاصرة لا بعدّه مجازا بلاغيا تقليديا وحسب وإنما بما امتلكه من تصورات جمالية وفنية ابتدأها مجموع الدراسات النقدية التي كان الشكلانيون الروس احد أهم منظريها الجماليين والشـكليين في مطلع العصـر الحديث حينما رأوا أن المجاز هو أوسـع من مفهومه البلاغي القديم وان أية علاقة بين كلمتين هي صورة بحد ذاتها [١٩]، لينطلق الشاعر المعاصر في محاولة استنفاد الطاقة القصوى للمجاز لا بعدّه علاقة نمطية تقليدية لاستيلاد الصورة الشعرية ولكن بعده بنية لها منطقها الحساس جدا في التركيب "فالبنية المجازية عند الشـاعر هي تعبير بالانفعال لا تعرض الأشـياء بل لوقع الأشـياء في النفس متجاوزا خلالها ما يرى إلى ما يتراءى" [٢٠]، ومن هنا أود الانطلاق في معاينة تمثلات الشاعر رعد عبد القادر للموت عبر الموضـوع الحاضـر إما بصـفته المجازية أو بصـفته الرمزية بشـكل عام ولنتأمل المقطع الأول في نص "سـيرة شعرية" الذي يفتتحه الشاعر بقوله:

ما لجيادك تسرع أيتها الحرية

ما لطريقك تضيق أيتها الحياة [٢١]

الشـاعر يقدم صـورة شـعرية مرتبطة بقاموس الموت ارتباطاً محكوماً بعلاقة الاقتران فالخيل المسـرعة في سـوح الحرية تقترن بسـوح المعارك التي ينتقل فيها الفرسـان من صـهوات جيادهم إلى دكة الموت ومن سـوح المعارك بفضـاءاتها الفسـيحة إلى صـمت القبور بلحودها الضـيقة، ومن هنا يشـتغل "ميكانزم" المجاز بعلاقاته المعقدة التي لا تكتفي برصـد العلاقات الظاهرة والقائمة على المنطق السـببي وإنما بالذهاب بعيداً إلى إرهاصـات النفس البشـرية وطرقها المعقدة في بناء الصـورة عبر التمثلات, وكأن رعد عبد القادر هنا يشـترك مع الشـاعر الفرنسـي جون كوكتو في رؤيته وتصـويره للموت الذي تتبدى عن طريقه الكتابة وكأنها تأويل لمشـهد الموت الجنائزي الذي يلف الكون كله [٢٢].

لقد منح الشـاعر رعد عبد القادر الكثير من تأملاته الشـعرية لهذا اللغز المحير الذي يسـمونه الموت حتى أنه في كثير من الأحيان ليقف عاجزا عن فهم هذه الكينونة العميقة التي تسـير جنباً إلى جنب مع الحياة في حركة دائرية لا متناهية، ولذلك نرى الشـاعر الراحل يمنح هذا الموضـوع الكثير من الوقت مسـودا فيه عشـرات النصوص الشعرية كما يطالعنا أحدها هنا بما نصه:

أيتها الشقوق العريضة في الكلام المهمل لنحلة الموت

امتصي رحيق وردتي أيتها المكتبة البرية [٢٣]

ولنلاحظ معاً هذا الاشتغال العجيب على تصوير موضوعة الموت، فهو:

أولاً: يشبه الموت بنحلة وأرواح الناس ونفوسهم بالرحيق فكأنه يمنح الموت دور الطرف الأكثر فاعلية في الوجود على حساب الإنسان الذي يأتي دوره مكملا للمشهد كما تنتظر الورود امتصاص النحل لرحيقها من اجل استكمال دورة الحياة، هذا من جهة ومن جهة أخرى ينتقل الشاعر من هذه الصورة إلى صورة أكبر وهذه المرة يتم التركيز فيها على النحل مستودع الرحيق الممتص من الورود لتصبح النحل هذه المرة بانتظار تحقق آخر للوجود كما تنتظر المكتبة وجود الإنسان لتتحقق معانيها المندثرة بين السطور. إنها حركة دائرية للوجود يكون الموت فيها لا خاتمة الحياة ولا نهايتها بل هو أحد طرفي صورة يساهم هو والحياة في تحققها، الأمر الذي تكون فيه "علاقة الإنسان بالموت علاقة حياة، وإثبات أحدهما يعني في الوقت نفسه إثبات الآخر" [٢٤].

من الصور الأخرى التي تنظر إلى الموت عبر موضوعاته التي تقيم معه علاقة قرائنية كانت الصور التي تضمنها نص "صورة العالم" فهذا النص يحفل بالصور التي تنظر إلى الموت عبر الموضوعات التي تتحد معه بعلاقات قرائنية محكومة أما بالمجاز أو بفلسفة الرمز العميقة إذ يقيم الشاعر في هذا النص علاقة بين القبر أو "الضريح" وبين الشكل المربع، إنها علاقة رمزية تربط بين المربع بأضلاعه الأربع وبين القبر الذي يحشر فيه الجسد محاطا بأضلاعه من جميع الجهات.

إن الشاعر هنا يتكلم عن الموت منظورا إليه بعده "مكانا" محكوما بعدم النفاذ إلى الحياة وحاكما على الحياة بعدم الخروج منه، يقول رعد عبد القادر في نص "صورة العالم":

و انت في المربع الصغير- محاطاً بالبلابل المرسومة بالزعفران
مطوقاً بالمباخر التي تنث السنين، مزداناً بالدمقس وبالحرير
والشذرو انات تنث عليك مطر السنونوات، وعالياً فوق رأسك أجنحة تخفق
وأمامك الممرات تفتح والأبواب تصطفق والأمواج تضطرب والشعل تنوس
والخيل تصهل والملائكة تصعد وتهبط - تأتيك فراشة النعاس [٢٥]

ان هذا النص الطويل الذي خصصه رعد عبد القادر لتصوير الموت عبر الموضوعات تموج فيه أكثر من صورة وتتوالد فيه أكثر من علاقة تتمحور جميعها حول تصوير الموت بطرق مختلفة وزوايا متعددة لعلها تنجح في تحقيق مقاربة ناجعة لهذا اللغز الذي يتكرر يوميا آلاف المرات ويحتفظ دائما بكونه لغزا عصيا على التفسير, يتحدث رعد عبد القادر عن المربع بعده رمزاً هندسيا ومكانيا للموت الذي تنحشر الحياة بين حدوده التي لا تنفذ منها الحياة ولا تنفذ إليها، إن صورة "وأمامك الممرات تفتح والأبواب تصطفق" هي صورة تلخص واقع عدم النفاذ هذا الذي أجمل فيه الشاعر في غير ما موضع فكما أن الحياة والموت يسيران بخطين متوازيين بعضهما الى البعض الآخر فكذلك لا يمكن فهم عبارة "الممرات تفتح" إلا حينما نقرن معها "الأبواب تصطفق" إنها حركة أبدية تتحدث عبر ثنائية الفتح والاصطفاق " إنها معادلة "عدم النفاذ" السرمدية المتكررة التي لا تسمح لأي احتمالية بدخول طرف ثالث عليها، ولكن الشاعر نفسه في مكان آخر من شعره يتساءل في النص الذي منحه عنواناً هو (حاشية بشرية) يتساءل عن ماهية القبور هن طريق رموز هندسية أعطاها بعداً فلسفياً ممهوراً بالإشارات التاريخية القديمة التي تضمنتها حضارات قديمة رمزت لمفهوم الموت وحاولت فك شيفرته الملغزة , يقول رعد عبد القادر متسائلاً:

ما هندسة القبور؟
هل القبر دائرة أم مربع
أم مستطيل؟ [٢٦]

إذ أنه من المعلوم أن للدائرة والمربع والمستطيل دلالات فلسفية تحدثت عنها الحضارات وأودعتها في مكنون خطابها القديم , والشاعر رعد عبد القادر يستخدم هذه الأشكال الهندسية بطريقة قصدية واعية ومنتبهة إلى عمق دلالاتها الضارب في جذور الفكر الإسلامي والرافديني القديم، فرمز الدائرة يشير إلى الأبدية واللانهائية والاستمرارية والدائرة شكل يحوي ما لا نهاية له من الأشكال المشابهة له والمختلفة عنه أيضا لأنها

ترمز إلى حركة الحياة والكون وتكمن فيه جميع الأشكال بينما يشير شكل المربع والمستطيل فيما يشير إليه إلى سعي الإنسان الدائم ومحاولته لإقامة وجوده الخاص داخل نظام الكون الدائري [٢٧].

ومع أن محاولة تصوير الموت هي محاولة قام بها الشعراء قديما وحديثا فانه يمكن لنا القول إن شعراء العصر الحديث أبحروا في هذا الموضوع في محاولة لسبر أغواره من اجل تفسيره ومغالبته وان اختلفت هذه المحاولات وتعددت هذه المقاربات [٢٨] ليظل الموت ممثلا لهذا اللغز: القديم قدم الإنسان على الأرض ووعيه بوجوده وماهيته، والحديث مثل حداثة أية واقعة موت جديدة تحدث وتتكرر في عالمنا المعاصر.

النتائج:

توصلت هذه الدراسة إلى جملة نتائج يمكن تلخيصها بالنقاط الآتية:

١. أخذ موضوع الموت حيزاً كبيراً في تفكير الشاعر الراحل مما دفعه إلى محاولة تقديم تصورات شعرية متعددة عنه من أجل الفهم على الصعيد الشخصي والشعري، الفردي والجماعي.

٢. كان للأسطورة دور مهم في محاولة الشاعر تصوير الموت وتقديم تفسيره الخاص عنه، وقد اعتمد الشاعر هنا على الأساطير الرافدينية بشكل خاص والشرقية بشكل عام.

٣. من بين زوايا التصوير التي وقف عندها الشاعر ملياً كانت زاوية التصوير المعتمدة على الرؤية الوجودية التي نجحت في تصوير قلق الشاعر وإحساسه باللا جدوى والضياع في هذا العالم اللغز.

٤. كان أسلوب الشاعر في تقديم صورة الموت يتم عبر ممرين: الأول هو بالاستخدام الذكي للمشهد الشعري كما رأينا في أكثر من قصيدة، أما الممر الثاني فكان عبر التمثلات التي تحاول أن تتحد مع هوية الموت وصورته عبر التماهي.

الهوامش:

(١) فلسفة الأسطورة: اليكسي لوسيف، ٣٩.

(٢) المجموعة الكاملة: رعد عبد القادر، الجزء الثاني، ١١.

(٣) أساطير من بلاد ما بين النهرين: ترجمتها ووضعت المقدمة والملاحظات ستيفاني دالي، ٩٣.

(٤) أساطير من بلاد ما بين النهرين: ٩٣.

(٥) إضاءة النص: د. اعتدال عثمان، ٧١.

(٦) الأعمال الكاملة: رعد عبد القادر، ج ٢، ٧.

(٧) موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية: روبير جاك تيبو، ١٥.

(٨) القران الكريم: جزء عم، سورة طه.

(٩) القران الكريم: جزء عم، سورة الشمس.

(١٠) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٣، ج ١٧، ٢٤.

(١١) شرح القصائد العشر تأليف أبي زكريا يحيى بن علي الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، بلا، ١٨٠.

(١٢) الأعمال الشعرية الكاملة، ١٦٣.

(١٣) موت الإمكانية وإمكانية الموت دراسة مقارنة في انطولوجيا الموت، أ. د. صفاء عبد السلام جعفر، بحث منشور في مجلة (Philos) كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر، عدد ١، لسنة ٢٠٢٢، ٨٣١.

(١٤) رعد عبد القادر: ج ٢، ٣٨.

(١٥) ينظر: فلسفة الموت، امل مبروك، ٤٥.

(١٦) المجموعة الكاملة، عصر التسلية، ص ١٠٦.

(١٧) ينظر الخبرة الجمالية دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية: د. سعيد توفيق، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٢، ٣٨.

(١٨) الأعمال الكاملة، ١١٦.

(١٩) ينظر نقد النقد: رواية تعلم، تزفيتان تودوروف، ترجمة د. سامي سويدان مراجعة د. ليليان سويدان، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ٢، بغداد ١٩٨٦، ص ٣٢.

(٢٠) المجاز والنظريات الحديثة عند شعراء الجيل الستيني العراقي، م. م. بلال إبراهيم شبيب وأ. م. د. عبد الناصر هاشم محمد، مجلة جامعة الانبار للغات والآداب، العدد الثلاثون، كانون الأول، ٢٠١٩.

(٢١) المجموعة الشعرية الكاملة، ج ٢، ٥٣.

(٢٢) ينظر شعرية الموت عند كوكتو، صابر الحباشة، مجلة الاتحاف، تونس، ع ١٣٧، ابريل، ٢٠٠٣، ٤٠.

(٢٣) المجموعة الشعرية الكاملة، ج ١، ١١٤.

(٢٤) تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، د. عبد الناصر هلال، مركز الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٢.

(٢٥) الأعمال الشعرية الكاملة، ١١٧.

(٢٦) الأعمال الشعرية الكاملة، ٧٧.

(٢٧) ينظر الرسم التجريدي بين النظرية الإسلامية والرؤية المعاصرة، عبد السادة عبد الصاحب الخزاعي، مراجعة وتقديم د. ماهود أحمد، بغداد، ٢٠١١، ص ٧٦-٩٠.

(٢٨) الموت المتخيل في المتن النقدي الحديث، د. سلمى محمد عبد الله باحشوان، مجلة الآداب واللغة والعلوم الإنسانية، جامعة جدة، المملكة العربية السعودية، مجلد ٣، عدد ٦، ٢٠٢٠.

المصادر:

القران الكريم.

أساطير من بلاد ما بين النهرين: ترجمتها وضعت المقدمة والملاحظات ستيفاني دالي، نقلتها الى العربية نجوى نصر، بيسان للنشر والتوزيع، لبنان، ط ١، ١٩٧٩.

إضاءة النص قراءات في الشعر العربي الحديث، د. اعتدال عثمان، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٨.

تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، د. عبد الناصر هلال، مركز الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥.

الخبرة الجمالية دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية: د. سعيد توفيق، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٢، ٣٨.

الرسم التجريدي بين النظرية الإسلامية والرؤية المعاصرة، عبد السادة عبد الصاحب الخزاعي، مراجعة وتقديم د. ماهود أحمد، بغداد، ٢٠١١، ص ٧٦-٩٠.

شرح القصائد العشر تأليف أبي زكريا يحيى بن علي الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، بلا، ١٨٠.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٣، ج ١٧، ٢٤.

فلسفة الأسطورة: اليكسي لوسيف، ترجمة منذر حلوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط ١، ٢٠٠٠.

فلسفة الموت دراسة تحليلية، د. امل مبروك، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ٢٠١١.

المجموعة الكاملة، رعد عبد القادر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٣.

موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية: روبير جاك تيبو، ترجمة: فاطمة عبد الله محمود، مراجعة: محمود ماهر طه، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤.

نقد النقد: رواية تعلم، تزفيتان تودوروف، ترجمة: د. سامي سويدان، مراجعة: د. ليليان سويدان، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ٢، بغداد، ١٩٨٦.

شعرية الموت عند كوكتو، صابر الحباشة، مجلة الاتحاف، تونس، ع ١٣٧، ابريل، ٢٠٠٣.

المجاز والنظريات الحديثة عند شعراء الجيل الستيني العراقي، م. م. بلال إبراهيم شبيب وأ. م. د. عبد الناصر هاشم محمد، مجلة جامعة الانبار للغات والآداب، العدد الثلاثون.

موت الإمكانية وإمكانية الموت دراسة مقارنة في انطولوجيا الموت، أ. د. صفاء عبد السلام جعفر، مجلة (Philos) كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر، ٢٠١٣.

الموت المتخيل في المتن النقدي الحديث، د. سلمى محمد عبد الله باحشوان، مجلة الآداب واللغة والعلوم الإنسانية، جامعة جدة، المملكة العربية السعودية، مجلد ٣، عدد ٦، ٢٠٢٠.

Resources:

The Holy Quran.

Legends from Mesopotamia: Translated, Introduction and Notes by Stephanie Daly, Translated into Arabic by Najwa Nasr, Bissan Publishing and Distribution, Lebanon, 1st ed., 1979.

Text Illumination: Readings in Modern Arabic Poetry, Dr. Itidal Othman, Dar Al-Hadatha, Beirut, 1988.

The Tragedy of Death in Contemporary Arabic Poetry, Dr. Abdul Nasser Hilal, Arab Culture Center, Cairo, 2005.

Aesthetic Experience: A Study in Phenomenological Philosophy of Beauty: Dr. Saeed Tawfiq, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, 1st ed., 1992, 38.

Abstract Painting between Islamic Theory and Contemporary Vision, Abdul Sada Abdul Sahib Al-Khuzai, Review and Introduction by Dr. Mahoud Ahmed, Baghdad, 2011, pp. 76-90.

Explanation of the Ten Poems by Abu Zakaria Yahya bin Ali Al-Shaibani, known as Al-Khatib Al-Tabrizi, edited by: Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid, Al-Saada Press, Egypt, no, 180.

Umdat Al-Qari Sharh Sahih Al-Bukhari: Badr Al-Din Al-Aini, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut, 1963, vol. 17, 24.

Philosophy of Myth: Alexei Losev, translated by Munther Haloum, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, Latakia, Syria, 1st ed., 2000.

Philosophy of Death: An Analytical Study, Dr. Amal Mabrouk, Dar Al-Tanweer for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, 2011.

The Complete Collection, Raad Abdul Qader, General Cultural Affairs House, Baghdad, 2013.

Encyclopedia of Pharaonic Myths and Symbols: Robert Jacques Thibault, translated by: Fatima Abdullah Mahmoud, reviewed by: Mahmoud Maher Taha, Supreme Council for Culture, Cairo, 2004.

Criticism of Criticism: A Novel of Learning, Tzvetan Todorov, translated by: Dr. Sami Sweidan, Reviewed by: Dr. Lilian Sweidan, General Cultural Affairs House, 2nd ed., Baghdad, 1986.

The Poetics of Death in Cocteau, Saber Al-Habasha, Al-Itihaf Magazine, Tunis, No. 137, April, 2003.

Metaphor and Modern Theories in the Poets of the Sixties Generation in Iraq, M.M. Bilal Ibrahim Shabib and A.M.D. Abdul Nasser Hashim Muhammad, Anbar University Journal of Languages and Literature, Issue Thirty.

The Death of Possibility and the Possibility of Death: A Comparative Study in the Ontology of Death, Prof. Dr. Safaa Abdul Salam Jaafar, (Philos) Magazine, Faculty of Arts, Alexandria University, Egypt, 2013.

Imagined Death in the Modern Critical Text, Dr. Salma Muhammad Abdullah Bahashwan, Journal of Literature, Language and Humanities, Jeddah University, Kingdom of Saudi Arabia, Volume 3, Issue 6, 2020.